

دعوة للاستكتاب لندوة

مراجعة في مفاهيم الفتوة و المروءة في ضوء أخلاقيات الفضيلة الإسلامية

4-6 نوفمبر 2019

مركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق
كلية الدراسات الإسلامية
جامعة حمد بن خليفة
الدوحة، قطر

الورقة المرجعية
د. سايروس علي زرجار
جامعة سنترال فلوريدا

* ملاحظة: يرجى مراعاة أن هذه نسخة مترجمة عن نص مكتوب باللغة الإنجليزية. يمكنكم الاطلاع على الأصل الإنجليزي من [هنا](#)

نبذة أساسية

نجم عن الاهتمام مؤخراً بحقل أخلاقيات الفضيلة ظهور محاور بحثية متداخلة التخصصات والديانات، تتجاوز التركيز على الفلسفة الأرسطية نحو مقاربات مقارنة، تتضمن دراسة الأديان الآسيوية¹. وتجدر الإشارة إلى أن بحوث الأخلاق في مجال الدراسات الإسلامية تركزت في الغالب الأعم حول أمور تتعلق بالفقه وما بعد الأخلاق (خاصة في علم الكلام) استناداً إلى تصور لأخلاق الفضيلة الإسلامية يراها مستمدة من الفلسفة العملية اليونانية وامتداداً لها². وسعت الدراسات الحديثة في مجال أخلاقيات الفضيلة إلى جسر هذه الهوة، ولسبب وجيه تقدم الكتابات الإسلامية في تهذيب الأخلاق رؤى أصيلة ذات أهمية كبيرة للمعنيين بدراسة الأخلاق في العصر الحاضر³. فضلاً عن ذلك، نجد الفكر الإسلامي عند نقطة التلاقى بين دراسات الجندر (قضايا الرجل والمرأة) وأخلاقيات الفضيلة يكشف عن مسار للتطور يمكن أن تسترشد به "فلسفة عالمية" على نطاق أوسع. وإن أخلاق الفضيلة الإسلامية في تناولها لفضيلة المروءة أو الفتوة

¹ انظر على سبيل المثال:

Seok, Bongrae, *Moral Psychology of Confucian Shame: Shame of Shamelessness* (London, Lanham, Maryland: Rowman & Littlefield International, 2017).

² انظر من بين أبرز الأمثلة:

George F. Hourani's *Reason and Tradition in Islamic Ethics* (Cambridge, UK: Cambridge University Press, 1985)

و يناقش أخلاق الفضيلة الإسلامية من حيث إنها امتداد لها.

³ فيما يخص إعادة النظر في أخلاقيات الفضيلة الإسلامية ذات الصلة بالموضوع الذي بين أيدينا، انظر على وجه الخصوص دراسة أعدتها زهراء أيوبي بعنوان:

Gendered Morality: Classical Islamic Ethics of the Self, Family, and Society (New York: Columbia University Press, 2019).

على وجه الخصوص، تلك الفضيلة التي تحظى بمنزلة خاصة في الخطاب الصوفي، تلقي الضوء على مفارقات عجيبة تتمثل في وضع مفردات لغوية ثرية للكمال الأخلاقي في السياق العصري، بينما في الوقت ذاته تباشر هذا الأمر بوسائل تصلح من حال قواعد الجندر. عادة ما يُترجم مصطلح الفتوة إلى الإنجليزية بكلمة "chivalry" ويتسم استخدام هذا المصطلح في إطار الفكر الأخلاقي الإسلامي بتاريخ عصيب ومتناقض أحياناً. وتعود جذوره في اللغة إلى بطل القبيلة، ويُستخدم أحياناً للإشارة إلى شاب يافع يتمسك بمنظومة صارمة من القيم الأخلاقية غير أنه ينخرط في نشاط غير مشروع. كما أن الارتباط بالبراري خارج حدود الحضارة يقوّي في بعض الأحيان الشعور الأخلاقي بالفتوة. وعلى غرار جماعة الشطار عُرفت جماعات الفتوة بالتجمع في مواطن الصيد والفتك⁴. ومع بروز أهمية هذا المصطلح في الفكر الصوفي، اكتسب أهمية روحية وعلاقة سببية بنبي الله إبراهيم. وصارت الفتوة في الكتابات الصوفية فضيلة شاملة تكافئ مكارم الأخلاق. وصارت الفتوة في الكتابات الأخلاقية الإسلامية بوجه عام تعبيراً عن كل ما هو نبيل في الشاب اليافع: من شجاعة وضبط للنفس وتواضع وحياء وأمانة. وقد عُني لويد ريدجون وإريك أولاندر كل على حدة ببيان التطورات المؤسسية في حركات الفتوة التي باتت أخويات موازية بل وغالباً مستوعبة في الطرق الصوفية⁵.

ويرادف الفتوة خلق المروءة أو المروءة الذي اشتهر بين العرب في عصر ما قبل الإسلام. وقد أولى إجناتس جولدتسمير في كتابه دراسات محمدية (*Muhammedanische Studien*) عناية خاصة لهذه الصفة وما مرت به من تغيرات بعد مجيء الإسلام لتتحول من قيمة بدوية تجسد الولاء القبلي والكرم والموالة والثأر إلى قيمة إسلامية تجسد أداء حق الله، والزهد في الدنيا، والعفو⁶. وقد اهتم توشيهيكو إيزوتسو بدراسة التحولات التي شهدتها بعض الصفات قبل الإسلام وبعده، وحرص على بيان التنوع في مفهوم الفتوة بحسب نظرة الثقافات إلى مفهوم الرجولة⁷. وتعد فضيلتا الفتوة والمروءة مجموعة من الصفات التي يُعرف بها الإنسان أو الفتى النبيل، وتتشابهان فيما بينهما في سياق الكتابات الأخلاقية الإسلامية، غير أن الكتابات الصوفية تركّز في الأساس على الفتوة.

لا ينبغي أن تفهم العناية بالفضائل الذكورية على أنها حالة عربية أو إسلامية تخص العرب أو المسلمين دون غيرهم، فالفتوة والمروءة تقابلان بصور شتى المفردة الإنجليزية "virtue" التي هي مشتقة من الكلمة اللاتينية "virtus" وتشير إلى صفات الرجل، وبالتالي تأتي ضمن المفردات الأخلاقية التي تشيد بالرجولة⁸. وعلى غرار لفظ الفتوة والمروءة، فإن الصفة الرومانية "virtus" مرت هي الأخرى بتغيرات عدة على مدار تاريخها، ففي البداية كانت صفة للمقاتل المثالي وبذلك لم تكن تُستخدم في الحديث عن العبيد أو النساء، في حين كانت الفضيلة الأساسية للمرأة هي العفة إلى أن أصبح لفظ "virtus" في أواخر عهد الجمهورية الرومانية اصطلاحاً عاماً يُراد به ضبط النفس، في إشارة أكثر تحضراً وشمولاً للخلق القويم.

⁴ انظر: Robert Irwin, "'Futuwwa': Chivalry and Gangsterism in Medieval Cairo." *Muqarnas* 21 (2004), 161-170.

⁵ Lloyd Ridgeon, *Morals and Mysticism in Persian Sufism: A history of Sufi-futuwwat in Iran* (London and New York: Routledge, 2010). Erik S. Ohlander, *Sufism in an Age of Transition* (Leiden and Boston: Brill, 2008).

⁶ Goldziher, *Muslim Studies (Muhammedanische Studien)*, ed. by S.M. Stern, tr. by C.R. Barber and S.M. Stern (London: George Allen and Unwin Ltd., 1966), p. 1:22-9.

⁷ Izutsu, *Ethico-Religious Concepts in the Qur'ān* (Montreal and Kingston: McGill-Queen's University Press, 2002), pp. 27-8.

⁸ Myles McDonnell, *Roman Manliness: Virtus and the Roman Republic* (New York: Cambridge University Press, 2006), pp. 159-165 as well as p. 10 and p. 71.

إشكالية الفضائل الجندرية

تنطوي الأبعاد الأخلاقية للفضائل الجندرية على بعض الإشكاليات. ولا شك أن مثال الفتوة ظهر في سياق ذكوري، يقتصر على الرجال. ستبقى الفتوة في إطارها الذكوري، رغم أنها استخدمت نادراً واستثناءً في الحديث عن بعض النساء. كما بقيت بعض الفضائل مثل العفة والحياء في إطار انثوي. وفضلاً عن إبراز الأصل اللغوي للكلمة، تأتي الكتابات الصوفية لتؤكد على شخص النبي إبراهيم وفتية الكهف (سورة الكهف: الآية 18). كما أن الحديث الذكوري عن "فئة العظماء" الذي نجده في الكتب اليهودية والمسيحية والإسلامية يقف وراء هذا الإجلال الكبير الذي أبداه أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي (ت. 1021/412) للأولياء والأولياء وتقديمتهم كنماذج رائعة للفتوة في كتابه المسى بكتاب الفتوة. ومع ذلك فإن السلمي يقدم لنا نسخة أنثوية من الفتوة صوّرها بلفظة النسوان أو "المتصفات بصفة الفتوة من الإناث" وهو مفهوم ظهر بلا شك قبل عصر السلمي. وورد ذكر هؤلاء النسوة في كتاب للسلمي بعنوان "ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات"⁹. وكثرة الأسماء والأفعال التي نسبت إلى العابدات العارفات تبين أن النساء سرن في طريق الله بعزيمة وهمة تضاهي عزيمة الرجال، وإن لم ينلن حظهن من التقدير في غالب الأحوال. ومع ذلك، وكما ترى رقية كورنيل، فإن ثناء السلمي على الرائدات من النساء يرد في سياق الخصوصية والاستثناء وأن هذا الإنجاز الأنثوي من قبيل النادر، في حين أن الإنجاز الذكوري هو من قبيل القاعدة العامة المطردة¹⁰. ويتجلى هذا الاستثناء في أوضح صورته في سيرة العابدة العاشقة لله، رابعة العدوية كما بيّنها فريد الدين العطار (ت. 1221/618) في تذكرة الأولياء. وقد برر العطار ذكر رابعة بين "صف الرجال" مستشهداً بحديث نبوي جاء فيه: "إن الله لا ينظر إلى صوركم" وأن ثلثي الأحاديث قد وصلتنا من طريق عائشة، زوج النبي، وأن المرأة التي تسلك الطريق إلى الله كما يفعل الرجال، لا يمكن أن تسمى امرأة¹¹. رغم أن العطار يعتبر أن الأثر الأنطولوجي للجندر امر اعتباري، إلا أنه يبقى في الإطار الذكوري ويعتبر اسناد بعض الفضائل للنساء أمراً استثنائياً.

غير أن معي الفتوة والمروءة في قيد الذكورة يستثني النساء من صفات لازمة للوصول إلى مرتبة الكمال الإنساني في السياق الصوفي (بل الإسلامي بوجه عام في بعض الأحيان). ويرى عبد الرزاق الكاشاني أن الإنسان لا بد له من اكتساب المروءة قبل أن يصل إلى الفتوة، وكذا لا بد من اكتساب الفتوة قبل الترقى إلى مرتبة الولاية في العلاقة مع الله¹². وقد أعادت سعدية شيخ تقييم القراءات الصوفية للجندر وسلطت الضوء على الأسس الإسلامية/الصوفية التراثية التي استندت إليها قضية المساواة الاجتماعية والأخلاقية بين الجنسين¹³. ويرى ابن عربي أن المرأة قادرة على أن تحوز أعلى المراتب الروحية بما في ذلك مرتبة الإنسان الكامل، ولا يقتصر ذلك على الجانب الروحي فقط:

⁹ انظر ما كتبه رقية كورنيل عند السلمي: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، ترجمة وتقديم وتعليق رقية كورنيل (Louisville, KY: Fons Vitae, 1999) ص 66-67. من بين العابدات أمينة المرجية وفاطمة الخانقاهية، وهما ممن عرفن بالفتوة ونذرتا السير في طريق الفتيان الصوفي.

¹⁰ انظر: Rkia Cornell, "'Soul of a Woman Was Created Below': Woman as the Lower Soul (Nafs) in Islam" in *World Religions and Evil: Religious and Philosophical Perspectives*, ed. Hendrik M. Vroom (New York: Rodopi, 2007) pp. 257-80, here p. 266.

¹¹ تذكرة الأولياء، تحقيق: محمد استعلامي (طهران: زوار، 2007) ص 61.

¹² Sachiko Murata, *The Tao of Islam: A Sourcebook on Gender Relationships in Islamic Thought* (Albany, NY: State University of New York Press, 1992), p. 268.

¹³ Shaikh, *Sufi Narratives of Intimacy: Ibn 'Arabi, Gender, and Sexuality* (Chapel Hill, NC: The University of North Carolina Press, 2012), pp. 82-3.

فإن هذا الكمال يمكنه أن يترك أثره في الجانب التعبدى وتؤسس لسابقة فقهية من منظور الدين. ويقر ابن عربي بأثر التموضع الاجتماعي للجنس ويرى أن الكمال الإنساني لا يتوقف على جنس الإنسان. ولذا فإن مفردات مثل الفتوة أو الرجال يمكنها أن تنطلق من سياق جنس جندري لكن لا مانع من توظيفها من جديد لتدل على حالات الكمال الإنساني بصورة لا تتوقف على جنس الإنسان. وإذا وضعنا في الاعتبار ما قالته سعدية شيخ لجاز لنا أن نستخدم الفتوة والمروءة، بل ولفظة الرجولية التي يقل استخدامها، للحديث عن الصفات الإنسانية النبيلة التي لا تعرف التمييز على أساس الجنس، دون أن يخل ذلك بتجذر هذه الكلمات في الفكر الإسلامي، وخاصة الصوفي، وفي الحديث عن أخبار الخلق.

تأتي هذه الندوة البحثية بمثابة فرصة للباحثين لإنعام النظر في مسألة الفتوة ودراساتها في سياقين في آن واحد: السياق الأول هو أخلاقيات الفضيلة الإسلامية (ومفرداتها الأخلاقية) والثاني هو دراسة الجندر في تاريخ الفكر الإسلامي.

أسئلة الدراسة:

- ما أثر دراسات الجندر المعاصرة في تفسير الفضائل الإسلامية التراثية مثل الفتوة أو المرءة؟

في ضوء دراسات الجندر، ينبغي للمتقدمين بالبحوث دراسة سبل تجذر اللغة في العلاقات الاجتماعية التقليدية. تأتي كتابات علماء الأخلاق في العصر الحاضر في حقبة تلي بروز مبدأ الوكالة الفردية، خاصة وكالة المحرومين والمهمشين. وقد وجد مفكرو الحركة النسوية وما بعد الحقبة الاستعمارية في أخلاقيات الفضيلة مجموعة من المبادئ الأخلاقية التي تقر تلك الدعوات التي لم تلق أذاناً صاغية، وتجسد قصصهم الشخصية في هذه الحياة، ذلك أن الأعراف العامة تميل إلى محاباة الأقوياء. فكيف للأخلاق الإسلامية المعاصرة، باعتبارها أخلاقاً ذات سياق خاص وسرديات شخصية، أن تتجاوز الأعراف العامة وتقر الأنماط المختلفة للحياة بشق صورها؟ هل الأخلاق الإسلامية التراثية سابقة في الوجود على المقاربات التعددية الشاملة المطالبة بالمساواة التي تؤكد عليها دراسات الجندر في عصرنا الحالي؟ أو هل يمكنها المساعدة في إعادة تقييم مفاهيم العدالة وحسن الخلق التي تتحدى الاصطلاحات الذكورية الخاصة؟

- كيف يغير المنظور متداخل التخصصات من مفهومنا للفضائل؟ وفي سياق علم الكونيات على وجه الخصوص، كيف

تؤثر رؤيتنا للعالم في تفسيرنا للصفات الأخلاقية القويمية؟

إن الكونيات الصوفية – متأثرة بالكونيات الأفلاطونية الجديدة التي كانت سائدة في حقبة تشكّل الفلسفة الإسلامية المبكرة – جعلت النفس الكلية في مرتبة تابعة للعقل الكلي. وارتبطت النفس الكلية بالأنثى أو الأم في حين ارتبط العقل الكلي بالذكر أو الأب. والإنسان باعتباره صورة مصغرة من العالم يحتوي في داخله على نفس هذا التقسيم الجندري للملكات والقدرات ولذا فإن الرغبات الدنيا – التي ترتبط بالنفس – عادة ما توصف بأنها أنثوية بطبيعتها. فما أثر كونيات الجندر في فضائل الإنسان ذكرًا كان أم أنثى؟ وكيف تؤثر نظرتنا لطريقة سير الكون من حولنا في إعادة تقييم رؤيتنا للصفات الأخلاقية النبيلة ومكارم الأخلاق؟

- ما أثر دراسة علم النفس في تعزيز فهمنا لأخلاق الجندر وإعادة صياغة تصورنا لهذه الأخلاق؟

إن النظر إلى الأخلاق الصوفية بوصفها "علم نفس أخلاقي" يستلزم من المرء إعمال الفكر في تلك العناية البالغة بتفاصيل النيات ودقائقها، والعلاقة بين الملكات الباطنة، ومبلغ العناية في نصح الشيخ لمريديه وتفسيره لرؤاهم وإرشادهم لسبيل الاستقامة على طريق الطاعة. ومع ذلك فإن علم النفس المعاصر يتيح لنا النظر في علاقات الجندر باعتبارها جزءاً من تكوين الذات. وفي هذا السياق، كيف يمكن الاستفادة من مقاربات التحليل النفسي في دراسة هذا الموضوع والاسترشاد بها في القراءات الخاصة بالفتوة أو المروءة؟ وفي ضوء انتقاد لوسي إيريجاري لإغفال رأي المرأة في التحليل النفسي، ولهذا الاهتمام المجازي المحض من الفاعل المذكّر بالعنصر الأنثوي، ما التحديات التي يمكن أن نواجهها في وضع إطار عمل منصف للجندسين يمكن من خلاله قراءة أخلاق الفضيلة الإسلامية؟

• مارست المرأة على مدار التاريخ بعض الأدوار التي تمثل إشكالاً في محاولة فهم الأخويات مثل الفتوة ومنظمات أخي وغيرها من التنظيمات التي يهيمن عليها الذكور، فما هي هذه الأدوار؟

أسهمت كتابات رقية كورنيل حول دور المرأة في تنظيمات الفتوة في تكوين فكرة مبدئية عن طبيعة وجود المرأة في مثل هذه الحركات ومدى فاعليتها. ومع ذلك فإن الوضع التاريخي لتنظيمات الفتوة في الإسلام، والتي أصبحت سمة بارزة لمدينة القرون الوسطى في غرب آسيا، لا يزال مهمًا بعض الشيء. ويمكن للمتقدمين بالبحوث مراعاة الأبعاد التاريخية لأخلاقيات الفضيلة الإسلامية في سياق يخص حياة المرأة. فكيف تعاملت المرأة مع الأخويات الذكورية؟ وكيف أثرت هذه الأخويات على حياة من ليسوا أعضاء فيها؟

• كيف يحترم المسلمون التراث – وكذا نماذج الفضائل التي تراعي الجنس، بما في ذلك السنة النبوية – مع الإقرار في الوقت ذاته بالوسائل التي اتبعت لإسكات صوت المرأة أو تجاهله في مسيرة الإسهام في الحكمة المجتمعية؟

ذهب أسدير ماكنتاير إلى أن التقاليد والمنظومات التراثية تمر بعملية إصلاح ذاتي حين تلتقي بتقاليد أخرى وتتعاظم معها، ولذا من خلال استخدام "المعايير الداخلية لتقاليد معينة" يمكن لمنظومة التقاليد تلك أن "تجد الموارد اللازمة لمواجهة تحديات المستقبل بنجاح"¹⁴. وقد أكدت العلوم الإسلامية منذ نشأتها الأولى بأن للمرأة حقوقاً ثابتة على الرجل، سواء الأب أو الزوج أو الابن أو الأخ أو حتى الغرباء. كذلك فإن النظر إلى المرأة كتجسيد للفضيلة، وخاصة الفضائل الأنثوية على سبيل المثال لا الحصر، يمثل أحد الموضوعات الرئيسية في الأدبيات الإسلامية. ومع ذلك فإن نماذج الفضائل التي تقوم على نوع الجنس قد وضعت المرأة في مرتبة ثانوية، أو ربطت بينها وبين العاطفة والقدرات العقلية المحدودة. وهنا ينبغي للمتقدمين بالبحوث التفكير في طرق يمكن من خلالها لدراسة الجندر أن تصبح العدسة التي يرى بها المسلمون تراثهم، وأداة تأويلية يقرأون بها هذا التراث.

مجالات الدراسة ذات الصلة

أخلاقيات الفضيلة، علم النفس، الدراسات الصوفية، تاريخ الفكر الإسلامي، الدراسات الجنسانية.

المواعيد النهائية لتقديم البحوث وطريقة التقديم

ينظم مركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق في العاصمة القطرية الدوحة ندوة بحثية بعنوان "إعادة النظر في مفاهيم المروءة والأخوة في ضوء أخلاقيات الفضيلة الإسلامية: الفتوة نموذجاً" في الفترة من 4-6 نوفمبر 2019. وسوف تُنشر البحوث المقبولة في مجلة محكمة بالتعاون مع دار نشر بريل. وينبغي للمتقدمين بالبحوث مراعاة ما يلي:

- (أ) يرجى إرسال مسودة الورقة البحثية في تاريخ أقصاه 1 أكتوبر 2019، على أن تتراوح المسودة ما بين 2000 إلى 7000 كلمة، وأن تكون مكتوبة باللغة العربية أو الإنجليزية. وتُرسل الأعمال على البريد الإلكتروني futuwwa@cilecenter.org مع إرفاق سيرة ذاتية للمشاركة لا تتجاوز 250 كلمة.
- (ب) يتلقى المشاركون دعوة بحلول 10 أكتوبر 2019.
- (ج) يتحمل مركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق نفقات السفر والإقامة.
- (د) يتحمل مركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق تكلفة النشر المتاح مجاناً للأبحاث المقبولة في مجلة محكمة، علاوة على تكلفة الترجمة من العربية إلى الإنجليزية أو العكس.
- (هـ) يتعين على المشاركين إرسال نسخة نهائية من الأوراق البحثية في غضون شهرين من تاريخ انعقاد الندوة في موعد أقصاه 5 يناير 2020. ويتراوح البحث ما بين 7000 إلى 10000 كلمة.